العرب
الإثنين 2020/11/02
السنة 43 العدد 11869

# حماسة أردوغان لترامب أقوى من حماسة خصومة

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

عاد سيث فرانتزمان، الخبير الإسرائيلي ـ الأميركي المخضرم والمتنوع، المتخصص في تاريخ المشرق العربي والعالم الإسلامي وقضاياه، إلى طرح أسئلة العلاقة بين تركيا وإسرائيل، لكي يعرف، أو يُعرّف قراءه في الصحف ووسائل الإعلام الكثيرة التي تنشر له (ومن بينها "الجزيرة" القطرية) لماذا كانت إسرائيل هي الغائب المفتقد، في سجالات وخصومات وتهديدات تركيا الأردوغانية، خلال الأشهر الأخيرة، في تحريض تركيا على تل أبيب، بينما التصعيد يتعلق باليونان وأرمينيا وفرنسا ومصر والسعودية وغيرها.

لا يأتي فرانتزمان بجديد عندما يقول ما معناه إن هذا الأدب الجم، ليس لأن الحزب الحاكم في تركيا، ورئيسها أردوغان، يحبان إسرائيل. فالتاجر السياسي أو السياسي التاجر، وحزبه، من أشد الأطراف عداء لإسرائيل، لكن المصالح فوق كل شيء عند أردوغان.

ومن جانبنا نعتقد أن الكاتب الإسرائيلي لم يشأ الخروج عن القاعدة الدعائية الإسرائيلية التي تشكو في العادة من "عداء" مفترض أو مزعوم، ومن مظلوميات تاريخية. فالعداء الأردوغاني لإسرائيل، ليس صحيحا. فلو كان صحيحا، لكان قديما، ولو كان قديما لما أظهر الرئيس التركي في العديد من المرّات تعاطفا كبيرا مع إسرائيل ومع التاريخ اليهودي وكانت له علاقة جيدة مع شارون، عندما كانت أميركا نفسها تتحسس منه.

المحللون الإسرائيليون، يميلون بطبائعهم إلى اختراع مقاصد خبيثة لكي تنال إسرائيل ما تريد.. لذا يقيمون دليلهم على أن أردوغان لا يحب إسرائيل، بسبب استضافته شخصيات من حماس وإطلاق تصريحات متعاطفة مع قضية فلسطين، علما بأن إسرائيل تعرف تماما، أن أردوغان يستضيف ويصرح، لكي يحوز على الزعامة الإسلامية السنية، كما تعرف إسرائيل، أن كل تجليات العلاقة مع تركيا، تجري في الواقع دونما عراقيل، في الأمن والصناعات العسكرية والتجارة والسياحة والتعاون الاستراتيجي، ومن آخر إنجازاته، أن سفير الولايات المتحدة في أنقرة، هو الذي أنجز ملف الترسيم الحدودي بين إسرائيل ولبنان.

كل الدلائل تشير إلى أن أردوغان يتلقى دعما قويا من إدارة ترامب. ولهذا وجب الصمت عن إسرائيل في أسوأ مراحل تطرفها وإنكارها للحد الأدنى من الحقوق الفلسطينية. ولا ينتظر قراء فرانتزمان، أن يعرفوا منه سبب حرص نظام أردوغان على عدم إثارة أي أزمة مع إسرائيل. فمنذ أن تسلم ترامب منصب الرئاسة بعد انتخابات 2016، كانت أولى اتصالات إدارته مع فريق أردوغان. فقد أخذ ترامب علما، بأن قناعة الرئيس التركي بشأن موقف إدارة أوباما من الأحداث في سوريا كانت خاطئة، لاسيما بخصوص عملها مع "حزب العمال الكردستاني" المصنف إرهابيا لدى السلطات التركية.

وفي الأسابيع الأولى من عمل إدارة ترامب، وجدت حكومة أردوغان ضالتها في مستشار الأمن القومي الأميركي مايكل فلين. وعندما طرده ترامب، يممت حكومة أردوغان وجهها شطر وزارة الخارجية الأميركية، وركزت على مبعوثها إلى سوريا جيمس جيفري.

لكن المفارقة الطريفة، كانت في الفكرة التي خالجت عقل أردوغان، وهي أن علاقاته الاستراتيجية مع ترامب تحمل على مدار الساعة رسالة قصيرة للحكومات العربية التي يعمل معها الرئيس الأميركي، وتحقق فيها الولايات المتحدة اختراقات كبيرة، تقول لهم "أيها العرب، إن صاحبكم الكبير، في جيبي، وبالتالي أنا الذي أقود على المستوى الإقليمي!".

بعد أقل من سنة، على حكم أردوغان، بدأت تكثر الإشارات المغذية للفكرة الأردوغانية الموهومة، عن علاقة استراتيجية متكافئة، مع الولايات المتحدة. ومن بين تلك الإشارات، حدث غير مسبوق، إذ سمحت السلطات الأمنية الأميركية، في العام 2017 للقوة الأمنية التركية المتواجدة داخل سفارة بلادها في واشنطن، بأن تقمع الأميركيين من أصل تركي، الذين تظاهروا أمام السفارة احتجاجا على سياسات أردوغان القمعية.

وقد أدار ذلك الحدث رأس أردوغان، ثم تكررت سعادته عندما بادر ترامب في أكتوبر 2019 إلى إخلاء مواقع أميركية في شمالي سوريا، لكي يفسح المجال للقوات التركية لكي تهاجم الأكراد حلفاء أميركا التقليديين. وفي تلك المناسبة شعر أردوغان أن الدعم الذي تلقاه على الأرض، لم تظفر بمثله إسرائيل من واشنطن، بحسابات الخارطة الفعلية على الجغرافيا.

وبالطبع، استطاعت إدارة ترامب، من خلال علاقتها الاستراتيجية مع أنقرة، التخفيف من خطاب أردوغان ضد إسرائيل، على الرغم من الحرج الذي شعرت به أنقرة، حيال قرار ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة الأميركية إليها.

ولكن مع تخفيف الهجوم على إسرائيل، سُمح لأردوغان أن يتحرك في مساحات أخرى مهمة، فانتقل إلى الحركة العسكرية في ليبيا، ودخل في مجالات ترسيم الحدود في خطوات فردية مضبوطة مع طموحاته إلى الحصول على ثروة بترولية، وفي الوقت نفسه استمر في حال الاشتباك مع الوضع السوري، ونقل المرتزقة السوريين إلى ليبيا، وخاض في نزاعات مع اليونان والعراق وأرمينيا، واستخدم جيشه للغزو وللتنقيب في شرقي المتوسط والحدود البحرية القبرصية، وأظهر نوعا من التنمر على الإقليم، وفعل كل ذلك مستأنسا بإدارة ترامب.

وهناك مفارقة أخرى، وهي أن خصوم أردوغان في المنطقة، لا يزالون يراهنون على ترامب نفسه، وينتظرون فوزه في الانتخابات. بل يعتبرون فوز جو بايدن، نكسة لهم وخيبة أمل كبرى. هنا، لا حرج من التساؤل، أي الطرفين الذي يكون قد بنى عاطفته ورهانه على حسابات دقيقة وموضوعية وخالية من الأوهام: أردوغان أم خصومه في المشرق العربي؟

معلوم أن إدارة أردوغان، فعلت علنا وبلا استحياء، في تأييد ترامب ودعمه، ما لم يفعله أصدقاؤه العرب الذين راهنوا عليه وطاوعوه. فقد أغرقت أنقرة ترامب بالإطراء والتجاوب مع توجهاته الأوروبية، مع التغني بعلاقتها معه، وانتقدت منافسه جو بايدن ونانسي بيلوسي، علما بأن الخارجية الأميركية، والوزير مايك بومبيو تحديدا، أظهر تحفظات كبيرة على التعاون التركي الروسي في منظومة الدفاع الجوي وصواريخ أس – 400، وتعاون أنقرة مع طهران، وتهديد اليونان. لكن ترامب، وضع مسألة الصواريخ في إطارها التجاري، باعتبار أن الروسي تاجر سلاح، أما التفوهات الأردوغانية ضد اليونان وإسرائيل، فهو يراها بمنظوره وبحكم تجاربه، من عدة النصب!

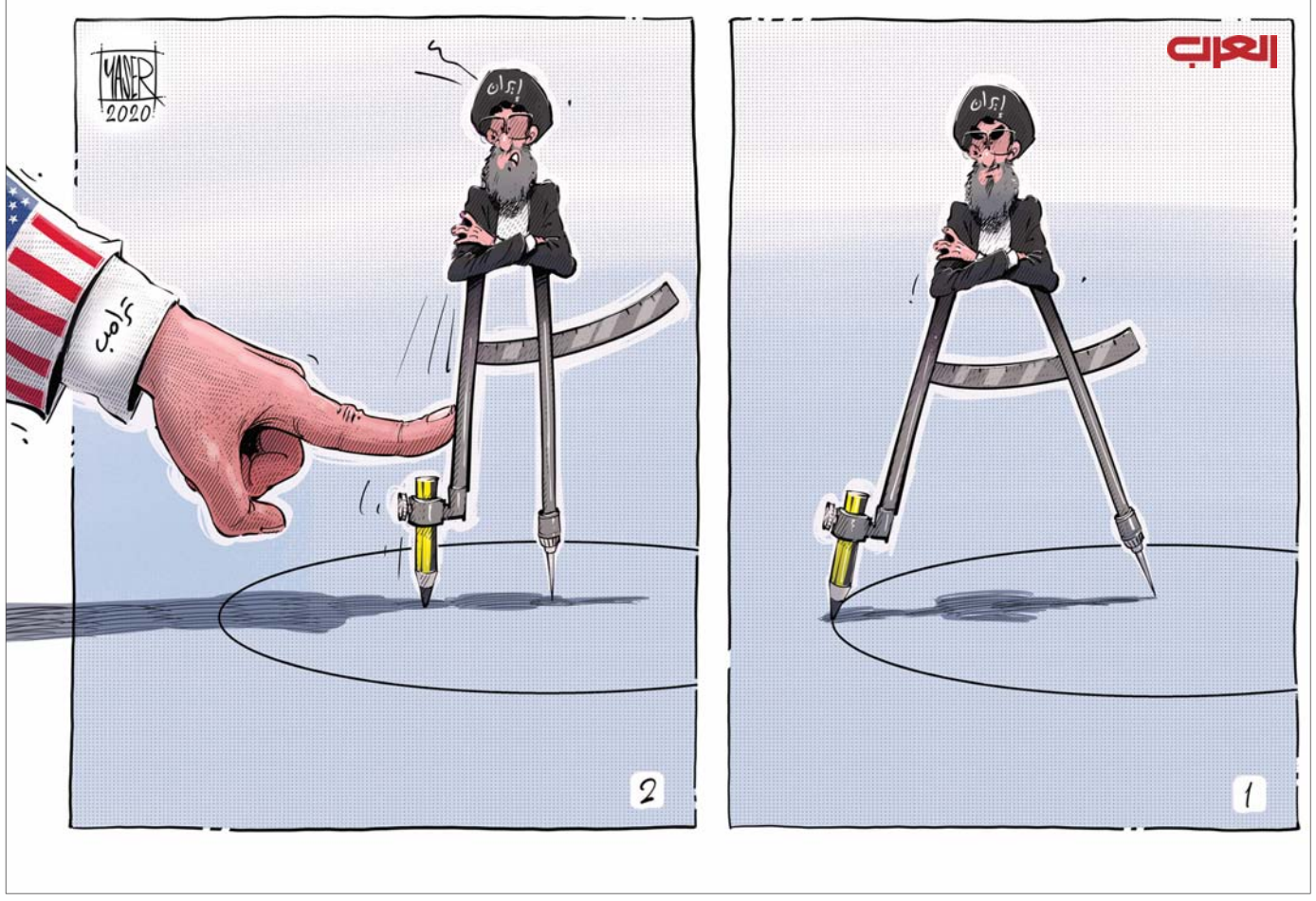


# ترامب... الذي صنع الفارق مع إيران

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

قد نكون غدا، أو بعده بيوم أو يومين، في وداع دونالد ترامب، سياسيا، أو في احتفاء، يقيمه البعض، ببقائه في البيت الأبيض أربع سنوات أخرى. سيحتفي به بعضهم علما أنّ دونالد ترامب قد يكون في ولايته الثانية مختلفا عن الرئيس الذي كانه في الولاية الأولى. سيعود ذلك، على الأرجح، إلى أسباب مرتبطة أوّلا باضطراره إلى التركيز على الوضع الاقتصادي الأميركي والأضرار التي أحدثها وباء كورونا (كوفيد – 19) في ظلّ إدارة لم تقدّر منذ البداية مدى خطورة انتشاره.

خرج ترامب من الرئاسة أم لم يخرج، يظلّ الرجل ظاهرة سياسية استثنائية ليس على الصعيد الداخلي الأميركي فحسب، بل على صعيد العالم كلّه. ارتكب ترامب أخطاء كثيرة، بما في ذلك الابتعاد عن أوروبا. لكنّ ما فعله في مجالات محدّدة، مثل المواجهة مع إيران، لا يستطيع غيره فعله بدءا بتمزيق الاتفاق في شأن ملفّها النووي وانتهاء بفرض عقوبات على النظام، وهي عقوبات سيصعب كثيرا على أيّ إدارة جديدة إلغاؤها بسهولة.

كشف ترامب من خلال العقوبات ثمّ من خلال تصفيته لقاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني أنّ إيران ليست سوى نمر من ورق وأنّ كلّ ما استطاعت عمله وتحقيقه من إنجازات في السنوات الـ41 الماضية، كان بسبب التخاذل الأميركي في التعامل معها والتصدي لمشروعها التوسّعي. قد يكون ذلك عائدا إلى حسابات أميركية. من بين هذه الحسابات الإصرار الإيراني على متابعة الحرب مع العراق طوال ثماني سنوات. أدّى ذلك إلى استنزاف العراق وإيران في الوقت ذاته، إضافة إلى ابتزاز أميركي مكشوف لدول الخليج العربي!

قبل كلّ شيء، لا بدّ من الاعتراف بأنّ فرص فوز الديمقراطي جو بايدن على ترامب ما زالت أكبر من فرص فوز ترامب الذي عانى في السنة الأخيرة من ولايته من عجز عن مواجهة وباء كورونا. على الرغم من ذلك كلّه، وعلى الرغم من استطلاعات الرأي، لا يمكن القول إن فرص ترامب معدومة. هناك خبراء في استطلاعات الرأي العام الأميركي يتوقفون عند ظاهرة في غاية الأهمّية مرتبطة بشخص دونالد ترامب.

يتوقف هؤلاء عند أن نسبة الخطأ في نتائج استطلاعات الرأي ارتفعت أخيرا إلى 9 وحتّى 10 في المئة من 2 إلى 3 في المئة. هذا عائد، بكل بساطة إلى أن مؤيدين لترامب يرفضون الاعتراف بأنّهم سيصوتون له وذلك من زاوية المظهر الاجتماعي، إذ لا يليق بهؤلاء الاعتراف العلني بأنّهم مع سياسي يعتمد الشعبوية أكثر من أيّ شيء آخر. إنّهم بكل بساطة يخجلون من ذلك، علما أنّهم مغرمون بشعبوية ترامب وكلامه المباشر وأسلوبه في إدارة الأمور داخل الولايات المتحدة وخارجها.

سيظل دونالد ترامب رئيسا مختلفا بسبب طريقة تعاطيه مع إيران أوّلا. شذّ عن كل قواعد التعاطي معها منذ عهد جيمي كارتر الذي ارتضى في العام 1979 الوقوف موقف المتفرّج من احتجاز 52 دبلوماسيا أميركيا في طهران طوال 444 يوما. فتح بذلك الطريق أمام تنمّر إيراني على دول المنطقة وعلى الإدارة الأميركية بالذات.

لم يكن الجمهوري رونالد ريغان أفضل من كارتر. أجبرته إيران في نهاية المطاف على الانسحاب من لبنان في أواخر العام 1983 بمجرّد تفجير مقرّ المارينز قرب مطار بيروت مما أدّى إلى مقتل ما يزيد على 250 عسكريا أميركيا في أسوأ حادث من نوعه منذ حرب فيتنام. تبيّن لاحقا أنّ صفقة عقدت من تحت الطاولة بين المشرفين على الحملة الانتخابية لريغان، أبرزهم بيل كايسي من جهة، ومسؤولين إيرانيين من جهة أخرى. عقدت الصفقة قبل الانتخابات الرئاسية الأميركية في تشرين الثاني – نوفمبر 1980. بموجب الصفقة، تجري الانتخابات الأميركية، فيما الدبلوماسيون الأميركيون محتجزون، كون إطلاق هؤلاء سيكون انتصارا لكارتر يسمح له بالفوز في الانتخابات الرئاسية والحصول على ولاية ثانية.

ساير ريغان إيران قدر المستطاع، بل سار معها في إطالة الحرب بينها وبين العراق. لم يوقف الحرب آية الله الخميني، مجبرا على تجرّع كأس السمّ، إلّا بعدما تمادت إيران وبدأت تهدّد الاستقرار في منطقة الخليج كلّه.

انشغلت إدارة بوش الأب بين بداية 1989 وبداية 1993 بحرب إخراج العراق من الكويت في وقت انكفأت فيه إيران وراحت تتفرّج على هزيمة خصمها صدّام حسين الذي قرّر الانتحار يوم قرّر دخول الكويت في الثاني من آب – أغسطس 1990. أمّا بيل كلينتون الذي خلف بوش الأب، فكانت إيران آخر همومه ورفض أخذ العلم بالدور الذي لعبته في إفشال ما كان أملا، ولو خافتا، في تحقيق سلام في الشرق الأوسط بعد توقيع اتفاق أوسلو في حديقة البيت الأبيض.

شيئا فشيئا، استعاد المشروع التوسّعي الإيراني حيويته بفضل جورج بوش الابن الذي خلف كلينتون. عرفت إيران كيفية التعاطي مع غزوتي واشنطن ونيويورك في الحادي عشر من أيلول – سبتمبر 2001 اللتين يقف خلفهما تنظيم "القاعدة" وزعيمه أسامة بن لادن. شاركت إيران في قطف ثمار الغزوتين وتصوير نفسها في صف المقاوم للإرهاب. شاركت الأميركيين في حرب أفغانستان وشاركت في حرب العراق في 2003. كافأها بوش الابن بتسليمها العراق على صحن من فضّة ثم كافأها باراك أوباما عبر اختزال كلّ مشاكل المنطقة وأزماتها بالملفّ النووي الإيراني. الأهمّ من ذلك كلّه، أنّ أوباما ركّز على أنّ الإرهاب في المنطقة والعالم "سنّي" وأنّ "داعش" أفضل تعبير عنه، فيما الميليشيات التابعة لايران، والتي تمثّل الوجه الآخر لـ"داعش" مجرّد جمعيات خيرية!

كان دونالد ترامب رئيسا أميركيا مختلفا. كسر كلّ القواعد التي وضعها أسلافه في ما يخصّ إيران. إذا دخل التاريخ يوما، سيدخله من هذه البوابة، بوابة استعادة الولايات المتحدة الثقة بنفسها والوقوف مع حلفائها في الخليج العربي. لا شكّ أنّ دول الخليج العربي، في مقدّمها المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين استعدت لمرحلة ما بعد ترامب من منطلق أن هناك مشروعين جدّيين يهددان المنطقة، من المحيط إلى الخليج، هما المشروع الإيراني والمشروع التركي.

من هذا المنطلق، كان لا بدّ من الاستعداد لكلّ احتمالات ما بعد الانتخابات الرئاسية الأميركية التي قد يخرج منها جو بايدن فائزا. أتى بايدن رئيسا أم لم يأت، من المفترض بدول المنطقة ألّا تكون تحت رحمة أيّ طرف خارجي في مواجهات التحديات التي تواجهها بغض النظر عمّن سيكون المقيم في البيت الأبيض. يبقى ترامب أو لا يبقى... ليست تلك المسألة.

لكن ما لا مفرّ من الاعتراف به أنّه صنع في السنوات الأربع الأخيرة فارقا كبيرا مع إيران.

**لا بدّ من الاعتراف بأنّ فرص فوز الديمقراطي جو بايدن على ترامب ما زالت أكبر من فرص فوز ترامب الذي عانى في السنة الأخيرة من ولايته من عجز عن مواجهة وباء كورونا**